المؤسسات الاجتماعية في عصر بني مرين
(٦١٠،٨٦٩هـ - ١٢١٣ ، ١٤٦٤م)

الباحث/ سالم محمد سالم سليمان

إشراف

أ.د/ نصاري فهمي محمد غزالي

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

بكلية دار العلوم جامعة المنيا

حرص المرينيون علي تنشيط حركة البناء والتعمير في دولتهم باعتبارها مظهر لحياتهم الاجتماعية الراقية المتقدمة وقد شملت حركة البناء والتعمير جميع جوانب الحياة في المجتمع المريني من مدن جديدة ومنشآت عامة كالمساجد والمدارس والمستشفيات والفنادق علاوة علي المنشآت العسكرية[١]فقد ازدهرت مظاهر الحضارة والعمران علي عهد بني مرين بعد أن أصبحوا أقوي ملوك المغرب حيث أنهم ورثوا تقاليد الفن والحضارة الأندلسية ونقلوها وطبقوها في المدن والقلاع والقصبات والقصور[٢]

وامتاز الفن المريني بإستعمال الطابية والأجر والحجر غير المنقوش والنقش علي الخشب والجبس والأدهان البديعة والشمسيات الملونة والنحاس المموه وترصيع المنارات بالزليج كما شمل زخرفة الثريات والمصنوعات الجلدية والخزفية [٣] وترجع روعة العمران إلي جودة الذوق المغربي والحس الفني والتنوع والدقة [٤]

---

(١) الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي والأندلسي ٣٤٤

(٢) محمد بن تاويت ، الأدب المغربي ص٢١٤

(٣) حركات ، المغرب ج٢ص١٥٢

(٤)عبد الله بن عبد العزيز، مظاهر الحضارة المغربية ص ٥٨ ، حركات،العمارة وفن البناء في عهد المرينيين ،مجلة دعوة الحق العدد٦ السنة ٧ الرباط ١٩٦٤ص٤١

وكانوا في فن البناء أحسن مثال للنقل عن فن الأندلس الأصيل بعد أن بلغ ذروته في عصر بني الأحمر [١]والذي نلتمس فيها إزدواجيه الطابع الأندلسي المغربي في شكل جديد قد سمي الفن الأندلسي المغربي [٢]

(١) المؤسسات المدنية

هناك مدن بناها المرينيون قصبات أو قري صغيرة تطورت فيما بعد إلي مدن بكامل مرافقها كما توجد قري أو مدن شادوها لم يتم لها النمو لأسباب سياسية أو إقتصادية ومن المدن المرينية .

١.فاس الجديد

أو"المدينة البيضاء" وهذه المدينة أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ببنائها عام ٦٧٤هـ ،١٢٧٥م أثر عودته من عبوره الأول إلي بلاد الأندلس [٣] ويرجع سبب بناء هذه المدينة إلي أسباب إتساع نطاق الدولة المرينية' وكثرة الوافدين علي السلطان يعقوب " أن يختلط بلدا يتميز بسكناه في حاشية وأهل خدمته وأوليائه كانت تضم عدة ضواحي وأملاك سلطانية خارج الأسوار[٤]وكانت هذه المدينة عسكرية لها سور أحمر مزوج تعلوه الأبراج وتدعمه الحصون المربعة التي تشير بما لا يقبل الشك إلي رغبة مؤسسها في اتخاذها قلعة منيعة إلا أنه أضيف إلي سورها أبراج يمكنها أن تحمل المدفع ،وكانت من القرن الثامن الهجري ،والرابع عشر الميلادي مظهرها من أي جهة كان الإقتراب منها يلقي الردع في نفس العدو وما زاد في قلعتها في أكثر من جهة واحدة وجود الماء الذي حول وادي فاس ليشكل خندقا يحيط بتحصينها [٥]وبنيت هذه المدينة في ساحة الوادي ملاصقة لمدينة فاس القديمة ونزل فيها السلطان بحاشيته وذويه واختطوا بها الدور والمنازل والقصور وأجريت إليها المياه [٦]وأصبحت هذه المدينة من أعظم آثار هذه الدولة وأنباها علي الأيام .

---

(١) حركات،العمارة وفن البناء ص٤١ ، عياش ،الاستحكامات العسكرية ص٣٥

(٢) عبد العزيز بن عبد الله ، معطيات الفن الإسلامي في المغرب مجلة المناهل تصدر عن وزارة الشؤون الثقافية الرباط المغرب العدد ٣ السنة ٢ يوليو ١٩٧٥م ص ٦٤،٦٥

(٣) مجهول ، الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ص١٤٧

(٤) الماحي ، المغرب في عصر السلطان أبي عنان المريني ص١٦٧

(٥) روجيه ، فاس في عصر بني مرين ص ٣٣

(٦) ابن خلدون ، العبر ج٧ ص١٩٥ المقري ، نفح الطيب ج٥ص٣٤٩

-ومن الأسباب الذي دفع السلطان يعقوب لبنائها أنه لما فتح جبل تينمل ومحيت منه بقية آل عبد المؤمن وتمهد له ملك المغرب واستفحل أمره وكثرت غاشيته رأي أن يختط بلدا ينسب إليه ويتميز بسكناه وينزل فيه حاشيته وأوليائه الحاملين لسرير ملكه [١] ومن دوافع بنائها أيضا موقعها المتوسط ذو الأهمية الإستراتيجية إذا شكل نقطة وصل بين مراكش في الجنوب والعدوة الأندلسية في الشمال وتلمسان في بلاد المغرب الأوسط [٢] ويصف ابن أبي زرع [٣]مدينة فاس بأنها دار علم وفقه ودين وبأنها أم بلاد المغرب في القديم والجديد

فقد كانت مدينة فاس في هذه الفترة تتكون من قسمين منفصلين إنفصالا تاما وهي المدينة الملكية التي أشرنا لها وهي فاس الجديد أو المدينة البيضاء [٤] والمدينة القديمة التي وحدها ابن تاشفين وسميت بفاس البالي وكانت تضم عدة ضواحي وأملاك سلطانية خارج الأسوار .

أما فاس البالي والعتيقة فقد ظلت أيام بني مرين ذات مركزين ولا تزال أسوارها لم يحدث بها تغيرات ذات أهمية وأسوارها كأسوار الجديدة سميكة الجدران تعلوها تحصينات ثابته ويحفظ بها أبراج مربعة وتخترق هذه الأسوار ثمانية أبواب موزعة توزيعا متساويا حول سورها ، وكانت لكل باب مغالق تدور علي مفصلات لعلها كانت تغلق كل ليلة في حالة تعرض المدينة لخطر[٥] خارجي، ودور هذه المدينة مبنية بالأجر [٦] والحجر [١] المتقن والطابية [٢]

---

(١) ابن أبي زرع،الذخيرة السنية ص١٦١، الناصري، الاستقصاء ج٣ص٤٤

(٢) الوزان ، وصف ج١ص٢٨٢

(٣)الأنيس المطرب ص ٣٢

(٤) الماحي ، المغرب في عصر أبي عنان ص١٦٧

(٥) روجيه ، فاس في عصر بني مرين ص٣٨

(٦) الأجر ، بضم الجيم وتشديد الراء لفظ فارسي معرب معناه اللبن إذا طبخ وعرفه المطرزي أنه طين مستحجر وقد عرفه بتعريف أخر انه لبن الطين المحروق وهو مكون من طينة تدخل في تركيبها مجموعها من الأكاسيد كالكالسيوم والمغنسيوم إضافة إلي الرمل الذي يكسب الأجر الصلابة والمقاومة واللمعان٠ محمد رزق، معجم المصطلحات العمارة والفنون الإسلامية، الطبعة الأولي مكتبة مدبولي القاهرة ٢٠٠٠م ص١١ ، ابن رامي ، الإعلان بأحكام البنيان ،دراسة أثرية معمارية، تحقيق محمد عبد الستار عثمان الطبعة الأولي دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ٢٠٠٢م ص ١٣٨، يونس خنفر، الأسس التكنولوجية في استخدام مواد الديكور سلسلة الفنون التطبيقية والهندسية دار الراتب الجامعية بيروت لبنان د.ت ص٢٠،٢١ =

وأكثر مرافقها منمقة مفروشة بالزليج [٣]وسقوط جميعها من الخشب [٤] وربما غشيت بعض السقوف بالقصدير والأصباغ الملونة ومن عادة الأهالي أن يزينوا أسقف بيوتهم بزخرفه عائقة وألوان رائعة من بينها الذهب ويجعلون فوق دورهم هيئة من خشن يمكن معها تغطية "صحن" الدار بالأقمشة للنوم هناك أيام الصيف وكل هذه الدور عبارة عن مبان ضخمة تتكون من طابقين أو ثلاث ولها سواء في الطبقات العليا أو السفلي أروقة ذات أقواس [٥]

ورغم أن مدينتي فاس القديم والجديد منفصلتان إلا أنهما كانتا تمثلان وحدة متكاملة فالقديمة احتفظت بمظاهر العلم والصناعة والتجارة بينما أخذت الجديدة طابع الحكم والسلطة وفي الوقت الذي كانت فيه حمراء غرناطة مقر ملك بني الأحمر كانت البيضاء مقر ملوك سلاطين بني مرين ومنها تصدر الأوامر وبها تعقد أعلام الجيوش[٦]

= ([١]) الحجر ، تعتبر الحجارة هي المادة الثانوية التي اعتمد عليها المرينيون في بناء معظم منشأتهم المدنية والعسكرية وكانت معظم الحجارة المستعملة حجارة كلسية لونها يميل إلي الأصفر والي الرمادي وهي عبارة عن كتل صخرية نارية ناتجة عن البراكين٠ محمد عياش ، الاستحكامات ص٩٩

([٢]) الطابية ، هي مادة بنائية استخدمت في البناء بدلا من اللبن أو الحجر، وهي كلمة عربية أوردها ابن خلدون في مقدمته عند الحديث عن صناعة البناء وسماها التراب المدكوك وهي نوع من الخرسانة لأنها تتكون من خليط من المواد اللاحمة والماء والحصي وبقايا الفخار والخزف المكسور ويعد البناء بالطابية كمادة بنائية قوية أفضل من استخدام مادة التراب في البناء ولذالك شاع استعمالها في بناء أسوار المدن فقد ذكر ليون الإفريقي أن سور مراكش في غاية من الجمال والقوة مبني بالطين المدكوك والجير والرمل الغليظ الممزوج٠ابن الرامي، الإعلان ص٢٠١ ،ابن خلدون ،المقدمة ج٢ص٤٩١

([٣]) الزليج ، نوع من الخزف الأملس الفاخر متعدد الألوان منه الأبيض والأسود تبلط به الأرض او يلصق علي الجدران للزينة وهو ما يسمي في لسان العامة بالقيشاني فقد استعمل مادة الزليج في العمارة الإسلامية العسكرية والمدينة والتي كانت تزين بها واجهات مداخل الأبواب المرينية فقد ازدهر فن الزليج في عصر بني مرين ولعب الخزف بأنواعه دورا اجتماعيا وقد نوع المرينيون طريقة صنعه وألوانه٠ المقري،أزهار الرياض ج١ص٤٦ ، المقري، نفح الطيب ج١ص٩٤ القلقشندي ،صبح الأعشى ج٥ص١٥٦ الجزناتي ، زهرة الأس ص١٠٣،١٠٢

([٤]) الخشب ، استعمل المرينيون الخشب بكثرة في مجالات مختلفة في الأبواب والتسقيف والخشب مادة عضوية مصدرها الغابات فقد استخدم المسلمون لهذه المادة في عدة مجالات أحيانا لا ينفصل عن المباني مثل الأسقف كسقف جامع سيدي الحلوى المريني والقباب والأعمدة٠ رزق محمد عاصم ،معجم المصطلحات ص ١٢١،١٢٩

([٥]) المهدي الحجوي ، حياة الوزان الفاسي ص٦٩

([٦])زمامه عبد القادر، أبو الوليد بن الأحمر،الدار البيضاء ،دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،مكتبة دار الثقافة ١٩٧٨م ص٥٥

(١) الغنيمي،موسوعة المغرب العربي ج١ص٢٧٧

(٢) ابن خلدون،العبر ج٧ص١٩٤،الناصري ،الاستقصاء ج٣ص٤٢

٢.مدينة البنية

هي مدينة عسكرية الطابع أمر السلطان يعقوب بن عبد الحق ببنائها عام٦٧٤هـ،،١٢٧٥م خلال جوازه الأول إلي الأندلس[١] وكان موقعها ملاصقا للجزيرة الخضراء علي ساحل بحر الزقاق [٢]

-وذكربعض المؤرخون[٣] أن الهدف من بنائها أن تكون مركز تجمع للقوات المرينية لأن الجزيرة الخضراء ضاقت بالمقاتلين المرينيين والسلطان يعقوب أراد أن يقي أهل الجزيرة ضرر العسكر وجفائهم حيث أشار ابن أبي زرع [٤] أن السلطان يعقوب قد بني في هذه المدينة القصور والجوامع والصوامع والحمامات والأسواق والقناطر في الطرقات مثل قنطرة وادي النجا وقنطرة ماردين وغيرها ، وأشار الغنيمي[٥] في موسوعته أن المدينة بنيت لتكون مقرات للقيادة ومعسكرات الجند بعيد عن الإحتكاك بالشعب ومضايقة الناس وينطبق علي ذلك بناء مدينة القيروان علي يد عقبة بن نافع الفهري [٦]

٣.مدينة المنصورة

وذكر بعض المؤرخون[١] أن السلطان يوسف بن يعقوب اختطها بجانب تلمسان حاضرة دولة بني زيان في المغرب الأوسط خلال حصاره لها وسماها المنصورة وتلمسان الجديدة ، حيث أكتمل بناؤها عام ٧٠٢هـ ، ١٣٠٢م وبني فيها قصور ودور وحمامات ومنزل ومستشفى وزرع فيها الأشجار والبساتين وبهذه المناسبة قام السلطان يوسف بن يعقوب بإهداء الكعبة المشرفة مصاحف مكللة بالجوهر والياقوت[٢]

---

(٣) ابن خلدون،العبرج٧ص١٩٣،الزركلي،الأعلام ج٩ص٢٦٣

(٤) الذخيرة السنية ص٩٠

(٥) موسوعة ج١ص٣٦٣

(٦)عقبة بن نافع عبد القيس الأموي القرشي الفهري ،فاتح المغرب الشهير وأحد كبار القادة في صدر الإسلام ولد في حياة النبي "صلي الله عليه وسلم" قبل الهجرة بسنة،ولا صحبة له، وشهد فتح مصر ،وكان ابن خالة عمرو بن العاص، فوجهة إلي أفريقية عام٤٢هـ واليا، فأفتتح كثيرا من تخوم السودان وكورها في طريقه، فولاه معاوية أفريقية استقلالا عام ٥٠هـ،فأوغل فيها حتي أتي وادي القيروان فأعجبه فبني فيه مسجده ثم شرع في بناء المدينة وعزله معاوية سنة ٥٥هـ،فعاد إلي المشرق ثم أعاد يزيد بن معاوية إلي الولاية عام ٦٢هـ٠الجزناتي ،زهرة الأس ص٨

(١) ابن خلدون ،العبرج٧ص٢٢١ ،الناصري،الاستقصاءج٣ص٨٠ ، الغنيمي موسوعة ج٥ص٣٢٣

(٢) ابن أبي زرع ، الأنيس ص٣٨٧

وبنيت في عام ٦٩٨هـ ، ١٢٩٩م[١] وهي تقع علي بعد ٤كم[٢]وقيل كذلك إنها علي بعد ٢ كم [٣] غربي تلمسان[٤] وكان إقدامه عن بنائها بمثابة منشآت عسكرية وتجمع سكني أقيمت أمام مدينة مستطيلة يبلغ طولها ١٣٠٥م وعرضها ٧٥٠م وبأركانها أبراج لا منفذ لها وعرض جدارها أكثر من متر وفي شمال المدينة ستة أبواب يقابلها ستة أخر في جنوب المدينة [٥]وكذلك أمر السلطان ببناء أبواب تلمسان بين عامي ٦٩٩،٧٠٢هـ – ١٢٩٨،١٣٠٢م[٦]وتعد صومعتها من مظاهر الفن الجميل [٧] فكانت إحدي مدائن المغرب ولكن بني عبد الواد سرعان ما خربوها بعد إنسحاب بني مرين[٨]

٤ .مدينة تطاوين

بناها السلطان أبو ثابت عامر بن عبد الله بن يوسف المريني في أول محرم سنة ٧٠٨هـ ، حزيران ١٣٠٨م[٩] بهدف إتخاذها معسكرا للجند والمساعدة علي حصار سبته التي إحتلها الغرناطيون [١٠] فكان بناء منازلها بسيطا غير محكم أما قصبتها فكان بناؤها محكما وثيقا[١١] ،وكان السلطان يوسف بن يعقوب قد بني قصبتها عام ٦٨٥ هـ ، ١٢٨٦م ثم بني السلطان أبو ثابت هذه المدينة عليها [١٢]،وقد ظلت المدينة عامرة نحو قرن حتي أصبحت من المراكز الأولي لحركة الجهاد البحري بالمغرب وحوالي

---

(١) ابن أبي زرع،الأنيس ص٢٨٤ ،الجزناتي ، زهرة الأس ص ٦٢ ،الوزان، وصف ج٢ص٣٨٨ ،سليمان مصطفي زبيس، أثار المغرب العربي، تونس مكتبة الحياة ١٩٥٨م ص٧٧ عبد الوهاب منصور، قبائل المغرب ص١٤٧ الفاسي ، وحي البيئة ،ص١٣٤ ٢٠٥.Aron١.op.cit. ١٢٧. Abun Nasr .op.cit–

(٢)الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج ٢ص١٠٥ ،الجمل، شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ليبيا وتونس والجزائر ، القاهرة، مكتبة الإنجلو المصرية ١٩٧٧م ص ٣٠، قصة، عبد الباقي علي، في المغرب الإسلامي في ضوء دراسات الإنثروبولوجية؟ مجلة الدارة العدد ١ السنة ٨ الرياض يوليو ١٩٨٢م ص ٢٣٢

(٣)الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ج٢ص١٠٥ ، حركات ، المغرب ج٢ص١٥٥،١٥٤

(٤)ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ص٣٨٨ الوزان ، وصف ج١ص٣٨٨ الجمل ،المغرب العربي الكبير ص٣٠

(٥)حركات ، المغرب ج٢ص١٥٥

(٦)ابن خلدون، بغية الرواد ج١ص١٢١ التنسي ، تاريخ بني زيان ص١٣٠ زكي محمد حسن ، فنون الإسلام، دار الرائد العربي ١٩٨١م ص١٢٠

(٧) I.Abbe Barges : tlemcenp.٢٥٠

(٨) ابن خلدون ، العبر ج٧ص٤٥٩

(٩)ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ص٣٩٢

(١٠)ابن خلدون ، العبر ج٧ص٢٣٧

(١١) الناصري ، الاستقصاء ج٣ص٩٦

(١٢) ابن خلدون ، العبر ج٧ص٢٣٤

٨٠٣هـ ،١٤٠٠م استولي عليها الأسبان فهجرها سكانها وخربها الغزاة ثم جدد بناؤها علي يد أي الحسن المنظري بعد نحو تسعين سنة [١]

-وفي عام ٧٢٩هـ ،١٢٢٩م بني السلطان أبو سعيد عثمان بن يعقوب المريني ٧١٠هـ ،٧٣١هـ -١٣٣١،١٣١٠م البلد المسمى أفراك بالقرب من سبته وكانت ذات طابع عسكري أيضا [٢]

٥.مدينة وجدة

أمر السلطان يوسف بتجديد بناء مدينة وجده وحصن أسوارها وأتخذ بها قصبة ودار لسكناه ومسجدا و حماما[٣]

٦.قصبة مكناسة

بناها أبو يوسف المريني وأنشأ بها مدرسته الشهود وكانت تدعي مدرسة القاضي حيث كان يعطي بها بعض دروس القاضي أبو علي الونشريسي كما بنا بها أبو الحسن زاوية المشاروين وزاوية القورجة وعدد من القناطر والمرافق [٤]

٧.مدينة شالة

كان لموقع شالة الإستراتيجي وطبوغرافيتها المتميزة الأثر الكبير في عمران الموقع منذ القدم وأثناء الفترة التاريخية بإستقرار الفينيقيين وكمركز هام للقرطاجنيين الغربيين، كما بلغت كمستعمرة رومانية أوج إزدهارها في النصف الأول من القرن الثالث للميلاد وعادت مجدها طول العصر البيزنطي حتي ظهور الإسلام،وفتحت علي يد سيدي عقبة بن نافع سنة ٦٢هـ ثم المولي إدريس الأكبر سنة ١٧٢هـ وأصبحت مركز إداريا إلي أن استأثرت بكرسي الحكم ومقر الرئاسة أيام بني يفرن من زناته.

وبدأ يعقوب بن عبد الحق إتخاذ موقع شالة حرما لإستقبال الشهداء من المجاهدين ودفن بها زوجته ثم تبعها هو فأقبر بها فبعد أن كانت شالة مدينة للأحياء بنشاطها السياسي والعسكري والتجاري منذ قرون تحولت إلي مدينة كاملة للأموات[٥].

---

(١) محمد داود ، تاريخ تطوان ص ٨٣

(٢) ابن خلدون ، العبر ج٧ص٢٩٤ ، الناصري، الاستقصاء ج٣ص١٩٠

(٣) ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ص٣٧٥ ابن خلدون، العبر ج٧ص٢٢٠ الفاسي، وحي البيئة ص١٧

(٤) حركات ، المغرب ج٢ص١٣١

(٥)عثمان عثمان إسماعيل ،تاريخ العمارة الإسلامية ج٤ص٢٣٩،٢٤٠

٨.القصور

تفيد الروايات التاريخية[١] أن ملوك وأمراء الدول المختلفة التي تعاقبت علي عرش المغرب الأقصى اهتموا بتشييد القصور في مختلف المدن المغربية وبخاصة حاضرة البلاد أو العاصمة التي يلاحظ أن قصر الحكم أو دار الإمارة الموجود بها ،وكان القصر يشيد غالبا إلي جوار المسجد الجامع ويتألف من غرف واسعة مرتفعة ومجالس رسمية وغرف إستقبال وتعلوه القباب العالية وأهمها قبة الرضا إضافة إلي البرك ذات المركب وتحيط به البساتين المغروسة بالأشجار علي إختلاف أنواعها [٢]

أما جدرانه فكانت مغطاة بالرخام والفسيفساء الملونة والجبس وصنع سقفه من الخشب المدهون بينما كانت أرضياته مغطاة بالقيشاني الملون[٣]وأثاثه من الفرش تكسوها الأقمشة الثقيلة والبسط السميكة التي كان يصنعها البربر وقطع قليلة من الأثاث الخشبي المحفور [٤]

والقصور من المظاهر العمرانية التي أهتم بها السلطان يوسف وتدل علي مدي الرفاهية التي وصل بها أهل المغرب حيث أمر السلطان يوسف ببناء قصر مدينة فاس الجديدة عام ٦٨٦هـ ،١٢٨٧م وأصبح هذا القصر مقر للسلطان وأبنائه من بعده[٥]، كما بني قصورا بمدينة المنصورة ووجده[٦]

ولقد كان لملوك بني مرين ذوق فني وإحساس مرهف في تشيد القصور ودراية بالتصميم والزخرفة ونجد السلطان أبي الحسن قد وضع تصميم قصره بنفسه ووقف علي العمال والصناع والفعلة والقائمين علي البناء يوجههم ويشرف علي التنفيذ إلي أن تم البناء، فقد استقبل بالقصر الجديد زوجته التي أبي أن ينزلها أثناء قدومها من أفريقية تونس إلي المغرب[٧] بقصر للنزول فيه فقد اشتري السلطان أبا الربيع المريني عدة

---

(١) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ص٣٨ ، الجزناتي، زهرة الأس ص١٩،٢٥

(٢) المنوني ، ورقات عن الحضارة المغربية ص٢٧

(٣) القيشاني، مصطلح معماري فني أطلق في العراق وإيران وتركيا علي البلاطات الخزفية التي تغطي أرضيات وجدران الأبنية كلها أو جزء منها لزخرفتها وحمايتها من الرطوبة ٠غالب ، موسوعة ص٣٢٢

(٤) روجيه ، فاس في عصر بني مرين ص٣٦،٣٥

(٥) ابن أبي زرع ، الأنيس المطرب ص٤٠٧ الناصري،الاستقصاء ج٣ص٨٣ المنوني، ورقات ص٥٣ ، الفيلالي، المرجع السابق ص١٢٨

(٦) ابن أبي زرع ،الأنيس ص٤٠٧ ،الناصري ،الاستقصاء ج٣ص٨٢ الفاسي، وحي البيئة ص ١٧

(٧) عثمان عثمان إسماعيل ،تاريخ العمارة الإسلامية ص٢٤١

منازل بفاس وحولها إلي قصور وكانت زخارف قصر أبي عنان تتألف من الرخام الفسيفساء الملون والجبس الأنيق والسقوف الخشبية المدهونة والثريات النحاسية الضخمة التي كانت تحمل السرج الموقدة بالزيت وكان الأثاث من الفرش تكسوها الأقمشة[١]ومن وصف لأحد هذه القصور يبرهن علي تعاون مجموعة من المهندسين المهرة والفنانين في تصميم معماري محكم وبالإضافة إلي وجود فئة متخصصة علي مستوي عالي من الخبرة من أرباب الصناعات كالبنائين والنجارين والجباسين والزلجيين والرخامين والدهانين والحدادين تعاونوا جميعا علي إبراز هذا التراث الفني الخالد [٢]

٩. الدور

وتعد النماذج القليلة التي وصلتنا من الدور المرينية سواء كانت بفاس[٣] أو في المنصورة بتلمسان وبالعباد وقرب تلمسان [٤] هي أقدم ما تبقي من الدور المغربية حتي الآن إذ لم يتبق في حدود ما هو معروف حاليا أية أمثلة للدور المغربية ترجع إلي فترات سابقة علي العهد المريني[٥] ،ورغم قلة هذه النماذج الباقية فإنها تسمح إلي جانب الوصف المعماري الذي زودنا به ابن فضل الله العمري [٦]عن الدور المرينية والتعرف علي الوضع المعماري للدور المغربية في تلك الفترة مع إحتمال تنوع وإختلاف بين الدور نتيجة رغبة كل منشئ وإمكاناته وظروف الموقع وإختلاف الأسر التي تسكنها

---

(١) روجيه ، فاس ص٣٦

(٢) الماحي ، المغرب في عصر السلطان أبي عنان ص١٩٩

(٣) روجيه، فاس قبل الحماية ج١ص١٠٩ ، فاس عصر بني مرين ص٩١،٩٤

-Bel,A,:op.cit,pp.٣١٧,٣٦٣:maslow B-et terrasse , H une maison merinide defes Revue Africiane tome lxxix Ausiegede la societe Historique Algerienne Alger ١٩٣٦ .pp.٥٠٣,٥١٠ , marcais G.op .cit.p.٣٩٨

(٤) عبد العزيز لعرج ، صورة المسكن المغربي الإسلامي في العصرين المريني والزياني من خلال النصوص التاريخية والشواهد الأثرية بحث نشر في كتاب دراسات في أثار الوطن العربي (٢) المؤتمر الرابع للآثاريين العرب الندوة العلمية الثالثة القاهرة ٢٠٠١م ص٨٣٩،٨٤٨

-Marcais,w.et,G: monumnets Arabes de tiemcenp.p.٢٦٦,٢٦٩

(٥) السيد أبو رحاب ،العمائر الدينية والجنائزية ص٢٥

(٦) عبد العزيز لعرج ، صورة المسكن المغربي الإسلامي ص٨٤٨،٨٤٧

من حيث كثافتها وصلة القرابة بينها فمنها دور مخصصة لسكني أسرة واحدة وأخري مخصصة لعدد من الأسر.

وبصفة عامة فهي ذات مدخل منكسر يؤدي إلي صحن أوسط مكشوف تتوسطه فسقيه "خصة" تحيط به أورقة "ممرات" مغطاة بأسقف خشبية تفتح عليها مجموعة حجرات لكل منها فتحة باب كبيرة تعلوها نافذة يطلان علي الصحن المصدر الرئيسي للتهوية والإضاءة لخلو الجدران الخارجية للدار في الغالب من النوافذ المطلة علي الشوارع الخارجية حرصا علي توفير الخصوصية ومنع ضرر الكشف ،وعلي أحد جوانب الصحن توجد غالبا قاعة كبيرة تقع غالبا علي محور المدخل الرئيسي للدار بالإضافة إلي بعض الملاحق الأساسية كالمراحيض والمطبخ والحمام [١]

ووفقا لرواية ابن أبي زرع [٢]فإن الدور المغربية في العصر المريني كانت تتألف من عدة طوابق وصلت في بعضها إلي ثلاثة وأحيانا أربعة

أما بالنسبة لمواد البناء والزخرفة فقد استخدم في بناء هذه الدور الأجر والحجر وصنعت الأسقف والأبواب والنوافذ والرفارف من الخشب وغطيت الأرضيات والأجزاء السفلي من الجدران بالزليج المتعدد الألوان[٣] فقد احتفظت الدور المغربية بهيئتها وتخطيطها المعماري الذي كانت عليه في العصر المريني أي أن هذا التخطيط أصبح المظهر التقليدي للدار الغربية منذ ذلك العهد حتي العصر السعدي بل وما بعده[٤]

١٠.المارستانات "المستشفيات "

فمنذ تقلد بنو مرين زمام الأمور في بلاد المغرب الأقصي وهم يحرصون علي بناء المارستانات لعلاج المرضي فأول سلاطينهم يعقوب بن عبد الحق بني المارستانات للمرضي والمجانين ورتب لهذه المستشفيات الأطباء لتفقد أحوال المرضي وأجري علي

---

(١)مسالك الأبصار ص١٤٠،١٣٩

(٢)الأنيس المطرب ص ٤٣

(٣) ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار ص ١٤٠،١٣٩

(٤) عبد العزيز بن عبد الله ، معطيات الفن الإسلامي في المغرب بحث نشر في مجلة المناهل العدد الثالث السنة الثانية الرباط، المغرب يونيه ١٩٧٥م ص ٦٩

Marcais G –manuel , d, Art musulman tomell , p.٧١٧

الجميع المرتبات والنفقات من بيت المال ورتب كثيرا من أموال الجزية للاهتمام باالجذامي والعميان[١]

ومن أشهر مارستانات بني مرين ذلك الذي بناه أبو عنان بسلا وسط حارة اليهود من حومة باب إحساين ،وهو كما يذكره المؤرخ ابن علي الدكالي [٢] بناء حفيل مشتمل علي بيوت كثيرة لإستقرار المرضي والمجانين والحمقي وأجري له الماء من الداخل علي السور الذي بناه أبو الحسن ورتب له أبو عنان قومه وأطباء ثم هجر المارستان بعد ضعف الدولة وعاد فندقا وبقي اسم باني إلي أن امحي بعد الحماية الفرنسية وهو يحمل فندق أسكور وكان في فاس عدد كبير من المارستانات المجهزة أحسن تجهيز [٣] وأمر السلطان يوسف ببناء مارستان [٤] في مدينة المنصورة [٥]ووصف الدكتور دومازال Dr Dumazal [٦]هذا المارستان فقال " يرجع إلي عهد سلطان بني مرين يوسف بن عبد الحق لما تولي الملك في عام ٦٨٥هـ ،١٢٨٦م وعهد مؤسسة إلي أشهر أطباء لإدارته وأوقف الأحباس عليه من العقار للصرف عليه وحفظه ،واعتمد السلطان أبو عنان للمارستان جزءا من الأوقاف المخصصة للمواساة والترفيه والرفق والإحسان بالإنسان وإدخال السرور علي المرضي في هذا المارستان[٧]

وترجع فكرة إنشاء مثل المارستانات في المغرب إلي تاريخ دولة الموحدين فقد أسس يعقوب المنصور الموحدي مارستانا " بمدينة مراكش [٨]وأن فكرة شمول المارستان لكل

---

(١) السلاوي ، الاستقصاء ج٢ص٣٢ ، مجهول ،الذخيرة السنية ص١٠٠

(٢)الإتحاف الوجيز ص٢٤

(٣) champion : le maroc etses villes d'art١,٢٦

(٤) أحمد عيسي بك ، البيمارستانات في الإسلام، الطبعة الثانية، بيروت دار الرائد العربي ١٩٨١م ص٥١ كمال السامرائي ، مختصر تاريخ الطب العربي ، بغداد دار الحرية للطباعة ، الدار الوطنية للتوزيع والنشر ١٩٨٥م ج٢ ص١٤٦ المراكشي ، المعجب ص٢٠٠

(٥) ابن خلدون ، بغية الرواد ج١ ص١٢١ التنسي ، تاريخ بني زيان ص١٣٠

(٦) publications du dervice de la santeet de phygiene puldique , editee , aloccasian de lex position calomile de Marseille no ١٩٢٢. par Dr Dumazal p.٨٨

(٧) النميري ، فيض العباب ص٣٠

(٨) المراكشي ، المعجب ص٣٦٤

مشاريع الإحسان والبر وإنما تجسدت في بداية عهد بني مرين لما كثر بناء البيمارستانات [١]

ويقول ابن بطوطة[٢] قد أصدر السلطان أبو عنان أوامره بتشييد عدد من المارستانات في كل بلد من بلاده وتعيين الأوقاف الكثيرة لمعونة المرضي وتخصيص الأطباء المهرة لمعالجتهم

كما جدد السلطان أبو الحسن المريني إحدى هذه المستشفيات التي كانت بالقرب من القيسارية[٣] بفاس

واعتني السلطان أبو الحسن أيضا بالعيون الساخنة التي يتداوي بها الناس فبني حمة خولان [٤] علي وجه محكم لعلاج المرضي بما يخرج من هذه العين من مياه معدنية ساخنة[٥]

وتولي إدارة هذه المارستان في العصر المريني نظار يعينون لهذا الغرض ومن الذين تولوا إدارة مارستان فاس في عهد أبي عنان، محمد بن القاسم بن أبي بكر القرشي المالقي [٦]

ومن الأطباء الذين عملوا في هذا المارستان أيضا محمد بن يحيي بن عبد الله ابن محمد العزفي الذي رجع إلي مدينة فاس بعد إقصائه عن سبته وكان له إلمام بالطب فقام بنشر العلم بها إلي أن توفي بفاس عام ٧٦٨هـ ،١٣٦٦م[٧]

وكذلك استعان السلطان أبو عنان أثناء مرضه بخبرة الطبيب والمنجم إبراهيم بن زرزر اليهودي طبيب ابن الأحمر سلطان غرناطة[٨]

---

(١) السلاوي ، الاستقصاء ج٣ص٦٥

(٢) تحفة النظار ص ٦٦٣

(٣) روجيه ، فاس في عصر بني مرين ص ٤٣

(٤) حمة خولان ، هي الحمة التي تعرف بسيدي حرازم تقع علي بعد ١٥كم إلي الجنوب الشرقي منها ، تنبع فيها مياه غنية بالغاز الكاربوني تبلغ حرارتها ٣٥ درجة وقد شرعت الدولة المغربية في السنين الأخيرة في تجهيزها وتزويدها بالمرافق العصرية التي تجعل إقامة المستحمين فيها مربحة الجزناتي ، زهرة الأس ص٣٦ ، الوزان وصف ج١ص٢٩٧ ،مارمول ، أفريقيا ج٢ص١٨٠

(٥) الجزناتي ، زهرة الأس ص ٢٦،٢٧

(٦)ابن القاضي ، جذوة الاقتباس ص ١٩١

(٧) ابن القاضي ،جذوة الاقتباس ص ١٨٩

(٨) الماحي ، المغرب في عصر السلطان أبي عنان ص٢٥٣

(٢) المؤسسات التجارية

١.الفنادق

وذكر الحريري[١] أن إنشاء الفنادق إرتبط في العصر المريني بإزدهار الحركة التجارية في البلاد حيث لعب الفندق دورا كبيرا في الحياة الاقتصادية والاجتماعية بالمغرب إذا كانت هذه الفنادق في أغلب الأحيان ملتقي للتجار من شتي البلدان والنواحي لذلك فقد أتخذ الفندق وضعا معينا يتفق مع وظيفته الاقتصادية ، فكان أشبه ما يكون بمخزن أو سقيفة

وكانت الفنادق بمثابة مخزنا ومكانا لبيع المواد التجارية[٢]وقد بني علي عهد السلطان يوسف فندق الشماعين الواقع في سوق الشماعين الذي يبعد عن جامع القرويين بضع كيلو مترات [٣] بأمر القاضي أبو عبد الله محمد بن أبي الصبر أيوب بن ينكول الجاناتي[٤]

وكان بالفنادق شهود عدول لتحرير عقود البيع والشراء وبها سماسرة يسهلون عمليات البيع والشراء وكان فيها المنادون علي البضائع التي تباع بالمزاد العلني كما كان بالفنادق أمناء لتسعير البضائع والتأكد من سلامتها من الغش وأيضا مترجمون يتولون الترجمة بين التجار من مختلف الجنسيات[٥]

يقول الوزان [٦]تتميز الفنادق ببنيانها المتقن فقسم منها فسيح جدا كالتي تقع بجوار الجامع الكبير في فاس الجديدة وتتآلف كلها من ثلاث طوابق وتقوم الفنادق بالقرب من الأسواق والحمامات والجوامع ولا يسكنها إلا التجار ويتألف الأول والثاني بسلم أو سلمين ومدخل الفندق مفتوح في وسط أحد الجهات وتتجهز بدورات المياه مع البلاعات لتفريغ الأقدار وقد كان لأرباب الفنادق أمين

---

(١)تاريخ المغرب الإسلامي ص٣٢٧

(٢) حسن علي حسن ، الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين ، القاهرة مكتبة الخانجي ١٩٨١م ص ٤٠٣،٤٠٠

(٣) التازي ، جامع القرويين ج٢ص٤٥٦

(٤) الجزناتي ، زهرة الأس ص٨٠، نقولا زيادة ، أفريقيا ، دراسات في المغرب العربي والسودان العربي لا.ب . رياض الريس للنشر ١٩٩١م ص ١١٢

(٥) الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي ص٣٢٧

(٦)وصف أفريقيا ج١ص١٨١

ويشير السبتي أن السلطان أبو عنان أقام العديد من دور الضيافة بغرض إيواء المسافرين من أماكن بعيدة مع تقديم الطعام والشراب لهم بالمجان طيلة مدة مقامهم، كما بلغت الفنادق بمدينة فاس والتي بلغ عددها أربعمائة وسبعة وستين وفي مدينة سبتة ثلاثمائة وستين فندقا أهمها فندق غانم الذي يتكون من ثلاث طبقات تحتوي علي ثمانين بيتا بالإضافة إلي تسع مصريات[١] ،وفندق الوهراني يعتبر من أجمل الفنادق بسبته فنا وجمالا لما جمعة من حسن بدائع الجص[٢] والنجارة في بنائه[٣]

٢.الأسواق

أما الأسواق فتعتبر من المؤسسة الثانية من المؤسسات التجارية التي لعبت دورا فعالا في تلك الفترة في حياة المجتمع المريني ووجد نظام التسعير في الأسواق المغربية[٤] فيذكر أن المحتسب هو الذي يتولى تسعير الخضر أو الفاكهة في الأسواق ويفرض ذلك علي أصحابها إذا جرت العادة أن يشتري الباعة هذه المنتجات الزراعية من الجلاب أو من أصحاب المزارع والبساتين دون سعر محدد ثم يقوم صاحب السوق بتحديد السعر بعد أن يعرف قيمة ما اشتروه[٥]

هذه المؤسسات التجارية قد لعبت دورا هاما في حياة المجتمع المغربي في تلك الفترة وزادت من نشاط الحركة التجارية وضيافة التجار والعاملون بالتجارة في فنادق خصصت لهم من قبل السلاطين والحكام.

وكانت تشمل جانبا مهما في الحياة المغربية سواء في المدينة أو في البادية حتي أن بعض المدن كانت في الأصل أسواقا ثم عمرها التجار وأقاموا المباني الثابتة فتطورت

---

(١) مصرية ، مسكن يبني فوق الحوانيت ونحوها ونوع من المنازل كان معروفا بمصر ونقل إلي المغرب وعرف بنسبه إليها، الجزناتي ، زهرة الأس ص٣٣ ، السبتي ، اختصار الأخبار ص ٨٦

(٢) الجص ، عبارة عن حجارة رسوبية كلسية تجلب من المقالع في شكل كتل يتم تفتيتها وبعد حرقها تكون قد فقدت كل رطوبتها وصارت سهلة للطحن وبعد الطحن تلي الغربلة لتكون صالحة للاستعمال وقد استعمل الجص في تكسية الجدران كما استعمل في الزخرفة ،ابن خلدون ، المقدمةج٢ص٤٩٢

(٣) السبتي ، اختصار الأخبار ص ٨٦

(٤) يشير ابن أبي زرع ،إلي رخص الأسعار بأسواق المغرب الأقصى في عهد السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني فيقول " لما ولي أمير المسلمين يعقوب ملك المغرب ظهرت سعادته وبركته علي البلاد فقد رأي الناس فيها من الأمن والرخاء والدعة وفور النعم ما لا يوصف، فكان القمح يباع في بلاد المغرب بسبعة دراهم للصفحة الواحدة والشعير ثلاثة دراهم للصفحة الواحدة ،ابن أبي زرع ،الذخيرة السنية ص٩٤،٩٥

(٥) الونشريسي ، المعيار ج٥ص٨٣،٨٤

وصارت مدن تحمل كلمة سوق في المغرب وما تزال بها أسواقا أسبوعية مثل سوق الأربعاء وسوق الثلاثاء غرب وسوق السبت[١]

ويشير بعض المؤرخون [٢] أن كل سوق من أسواق المغرب كان يختص بنوع معين من السلع فهناك أسواق للرقيق وأخري للزيت والغزل والعطارة والخضر واللحم وغير ذلك

وكان القصابون يقدمون أحيانا أحد الأشخاص للأشراف علي ذبح ما يباع في سوقهم نظير أجر معين يدفعه له بائع اللحم في السوق [٣]

(٣) المؤسسات الحربية

وإلي جانب إهتمام المرينيين بالجيش ورجاله وأسلحته وملابسه ودواوينه وأرزاقه فقد إهتموا أيضا بمنشآته العسكرية التي من شأنها أن تنظم أسلوب حياته وتزيد من قدراته سواء من ناحية الدفاع أو الهجوم [٤]وقد تعددت هذه المنشآت تبعا لتعدد الأغراض التي أقيمت من أجلها فالمدن والأسوار[٥] المحيطة بها والأبراج[٦] والحصون والخنادق والإصطبلات والاهراء والمنازل الخاصة بالجند كل هذه الأشياء ما هي إلا منشآت عسكرية أقامها المرينيون لأغراض حربية والوقع إن إهتمام المرينيين بهذه الناحية

---

(١) حلمي محمد عشيش،المغرب الأقصي كما رأيته،دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ،القاهرة د.ت ص١١٣

(٢) الونشريسي ، المعيار ج٣ص١٥٧،٢١٧، ج١٠ص٢٤٢،٤٠٩، ج١١ص١٢٥ كمال مصطفي ، جوانب من الحياة الاجتماعية ص٧٣، وجديرا بالملاحظة في هذا الصدد أن الحواضر المغربية اشتهرت بكثرة أسواقها ومن ذلك مدينة سبته حيث يذكر الأنصاري" أن عدد الأسواق فيها مائة وأربعة وسبعون سوقا ، تخص منها المدينة بمائة واثنين وأربعين سوقا والأرباض الثلاثة العامرة باثنين وثلاثين ومن أشرفها قدرا وجمالا مرأي سوق العطارين وسوق الأواني النحاسية والسوق الكبير وسوق السقاطين وغيرها "الأنصاري السبتي، وصف سبته الإسلامية المعروف باختصار الأخبار ص١٦٨،١٦٩

(٣) الونشريسي،المعيارج١١ص١٢٥

(٤) رضوان محمد رضوان ، الحياة الحربية في عصر الدولة المرينية ص ٢٦٢

(٥) الأسوار ، مفردها سور ويقدر محيط المدينة بـــ٥ كم وقد بني بالطابية تمتد من الشمال إلي الجنوب علي شكل رباعي غير منتظم أضلاعه غير متساوية للمزيد انظر عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية ج٤ص٨٩ الأيوبي ، مقدم ، مقال الأسوار ج٤ص٤٥٨

(٦) الأبراج ، تلتحم بالأسوار من أساساتها إلي قمتها بمسافة غير متساوية شغلت السور المحيط بالمدينة من جميع جهاته وأركانه ويقدر عددها بحوالي ٨٠ برجا تختلف من شكلها وحجمها بين أبراج الأركان وأبراج الأضلاع وهي ذات وظيفتين الأولي تدعيم السور وتقويته في جزئه السفلي والثانية الحراسة والمراقبة والرمي في جزئه العلوي أما من حيث الشكل فهي علي نوعين أبراج مستطيلة وتحتل أواسط الأضلاع وهي أكثر عددا وأبراج مربعة التي تحتل الأركان ، محمد عياش ، الاستحكامات ص٨٣ ، عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية ج٤ص٩٠

يرجع إلي بداية عهد دولتهم خاصة خلال عهد أبي يوسف يعقوب وقد إزداد هذا الإهتمام في العهود التالية وما زالت بعض هذه المنشآت العسكرية قائمة إلي الآن شاهدة علي هذا الإهتمام٠

فقد إهتم المرينيون بتلك التحصينات[١]الدفاعية لأن دولتهم تميزت بكثرة الحروب التي خاضتها سواء في مرحلة تأسيسها أو مرحلة إزدهارها وتوسعها وتركزت أهم هذه التحصينات الدفاعية علي الحدود الشرقية للمغرب الأقصى لمواجهة خطر بني عبد الواد وفي بلاد الأندلس علي طول سواحل الدولة المطلة علي البحر المتوسط لمواجهة خطر الأسطول الأسباني [٢]ومن هذه الحصون **(القصبات والقلاع و الأبراج و الأسوار و القواعد الحربية و الحصون و الأربطة)**

واهتم السلطان يوسف بالمنشآت الحربية فقد بني قصبة [٣]تطوان[٤]في عام ٦٨٥هـ،١٢٨٥م وكان بناء هذه القصبة يهدف إلي حصار سبته والإستيلاء عليها[٥] ومن القصاب التي شيدوها أيضا قصبة مكناسة [٦]وقصبة مدينة وجدة[٧]،وكذلك إهتم ببناء القلاع كقلعة دبدو بمدينة دبدو في عام ٦٨٥هـ ،١٢٨٦م[٨] وقيل أنها بنيت سنة ٧٠٠هـ ، ١٣٠٠م[٩]٠

ومن المدن التي إهتم المرينيون بتحصينها تحصينا قويا "مدينة تاوريرت" التي كانت تخما لأملاك المرينيين وبني عبد الواد وكان لكل من الدولتين عامل عليها ولكن أبا

---

(١) التحصينات ، مفردها حصن وهو كل مكان منيع لا يوصل إلي ما في جوفه احتصنت القرية إذا بنيت حولها وحصنت المرأة حصنها إذا عفت عن الزنا وقيل العرب حصونها وقد سميت العرب حصنا ،واصطلاحا هي عبارة عن مجموعة من المنشآت والموانع والستائر تقام لتقوية موقع ما وحمايته من الهجمات المعادية٠ ابن منظور، لسان العرب ج٣ص،٢٠٨

(٢) محمد عيسي الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي ص٣٢٨

(٣) قصبة، وهي في بلاد المغرب والأندلس حصن منيع يقام عادة في موقع مرتفع مثل قصبة مالقة وقصبة المرية بالأندلس وكانت القصبة تشمل عادة قصر الحاكم والقلعة أو القلاع التي تحميه ودور الوزراء والحاشية ،محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس ج٨ص١٨٩

(٤)حركات، المغرب ج٢ص١٣٢،الأعرجي ، الدولة المرينية ص١٢٥،

(٥) ابن أبي زرع ،الأنيس المطرب ص ٣٩٢ ،عبد الجواد ، المغرب ص٩٥

(٦) ابن أبي زرع ،الأنيس ص٣٢٢ ،ابن خلدون ،العبر ج٧ص٢٣١ ، ابن غازي، الروض الهنتون ص٣٤

(٧)ابن أبي زرع،الأنيس ص ٣٨٥، ابن خلدون، العبرج٧ص٢٦٠

(٨) بوجندار ، أبي عبد الله محمد بن مصطفي ، مقدمة الفتح في تاريخ رباط الفتح، الرباط ، مطبعة الجريدة الرسمية ١٣٤٥هـ ص ٢٣

(٩) حركات ، المغرب ج٢ ص١٥٣

يعقوب يوسف قام في عام٦٩٤هـ،١٢٩٤م-١٢٩٥م وشرع في بناء الحصن الذي هناك فأدار سوره وشيده وركب عليه أبوابه مصفحة بالحديد وكان يقف علي بنائه بنفسه من صلاة العشاء إلي المساء وفرغ من بنائه وتحصينه في رمضان من السنة المذكورة ٦٩٥هـ ،١٢٩٥م [١]

وكذلك يعتبر حصن القاهرة الذي أقيم علي سفح جبل السكسيوي بأرض السوس الأقصى من المنشآت العسكرية المرينية وقد أنشئ هذا الحصن في عهد السلطان أبي عنان فارس عندما أرسل وزيره فارس بن ميمون عام ٧٥٤هـ ،١٣٥٣م للقضاء علي ثورة أخيه أبي الفضل بن أبي الحسن المعتصم بجبل السكسيوي وقد حاصر الوزير هذا الجبل وأخذ بمخنقه واختط مدينه لمعسكره وتجمير كتائبه بسفح ذلك الجبل سماها القاهرة[٢]

ويقول ابن مرزوق [٣]ومن المدن الأندلسية التي اهتم المرينيون بتحصينها نذكر مدينة رندة Ronda وقد كانت بها المنشآت العسكرية وقال في حقها" وفي بلدة رندة من أثار البناء المحدث عن أمره والمعاقل المحصنة والأبراج الشامخة والآبار المعينة والزوايا

ويشير حركات[٤] بأن الأبراج والمحارس أنشأت في عهد عظماء ملوك الدولة فقد إمتدت المحارس والمناظر في عهده من أفريقية إلي أسفي وأن نظام مراقبة الأمن وحماية الثغور كان يساهم فيه صاحب البريد الذي يتعين أن يتوفر علي أتباع وأعوان ومواكبة وطيور وما إلي ذلك إذ كان عليه مراقبة الطرق وحمايتها من القطاع واللصوص وإنسلال الجواسيس في البر والبحر ‘

وذكر بعض المؤرخون[٥] أن المحارس أنشئت علي طول الساحل من أسفي إلي جزائر بني مزغناي ،وهذه المحارس عبارة عن أبرز عالية رتب فيها السلطان أبو الحسن المستطلعون والمستكشفون للبحر فإذا أظهرت أيه قطعة بحرية للعدو بادر هؤلاء

---

(١) السلاوي ،الاستقصاء ج٣ص٧٦ ، ابن خلدون ،العبر ج٧ص٢٢٠

(٢) ابن خلدون ، العبر ج٧ص٢٩٤، السلاوي ،الاستقصاء ج٣ص١١٠

(٣)المسند ص٢٢٦

(٤)المغرب ج٢ص١٨٣

(٥)ابن مرزوق ،المسند ص ٢٦٦ ،عبد العزيز بن عبد الله ، مظاهر الحضارة المغربية ج٢ص٥٧ الحريري ، تاريخ المغرب الإسلامي ص٣٥٤

المستطلعون والحراس إلي إشعال النار في الأبراج والدوي بالنقير فتتنيه سائر المحارس علي طول ساحل الدولة المطل علي البحر المتوسط في ليلة أو أقل من الليلة وعلي نفس المنوال أقام السلطان أبي الحسن أبراج الماء وهذه الأبراج أقامها في الماء أمام سبته لتشرق علي حركة السفن وتراقب الداخل والخارج منها فالبرج الأول كان ببحر بشول أمام سبته والثاني في مشحن سبته كما بني برجين من نفس الطراز بجبل الفتح لنفس الغرض [١]

وأشار النميري[٢]أن السلطان أبو عنان أمر ببناء عدة أبراج عالية وأمدها بالفرسان والرجال من كل ضارب رمح أو نبل وعين لكل واحد منها مشرفا بتنفيذها وأختار لكل حصن منها قائدا من قواده ممن إتصفوا بقوة الشكيمة والمهارة في القتال ووضع تحت تصرف كل قائد عددا من المشاة والفرسان من أبناء القوافل وخصص لنفسه برجا من بين هذه الأبراج ويشرف عليه بنفسه كما أعاد ترميم ما هو مبني وإدخارها بمختلف المواد التي يحتاجها الجيش أثناء الحصار من عمال مهرة لعمل الآلات المصنوعة من الخشب والحديد والنحاس والقصدير وما شابه ذلك

ذكر بعض المؤرخون[٣] أن السلطان أبو الحسن المريني قرر بعد إستيلائه علي جبل الفتح عام ٧٣٣هـ ،١٣٣٧م تحصين جبل الفتح لأهميته الإستراتيجية إذا أحاط الجبل من كل جانب سور وأبراج ذات محارس ومساكن وأنشأت الأسواق وجامع للصلاة وحمام وانتشرت القري والمساكن علي سطح الجبل وعمرت أبراج الجبل وسفحه بالرجال والفرسان للدفاع عن هذا الجبل

ومن إهتمام السلطان يوسف أيضا إنشاء الأبراج فأمر ببناء أبراج الشمال والجنوب لتكون حزاما دفاعيا حول المدينة [٤]وبني الأبراج بمدينة المنصورة [١]وأتخذ السلطان أيضا مدينة تازة قاعدة حربية له أثناء حصاره لتلمسان[٢]

---

(١) ابن مرزوق ، المسند ص٢٦٧

(٢) فيض العباب ص١٤٩

(٣) ابن الخطيب ، كناسة الدكان ص٣٨ ، ابن مرزوق ، المسند ص٣٩١، ٣٩٢ ابن خلدون، العبر ج٧ص٣٥٦ المقري ، نفح الطيب ج٤ص٤٠٤ محمد المنوني أبحاث مختارة منشورات وزارة الثقافة والشئون الثقافية بالمغرب فبراير ٢٠٠٠م ص١٤٢

(٤) منال عبد القادر ، أسوار مدينة فاس أصالة أم حاجز مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية عدد خاص دراسات في جغرافية المغرب ، الرباط ١٩٨٥ص٨٨

ولقد كان لبني مرين مهارة فائقة في تخطيط المدن العسكرية وبناء الأسوار فاختاروا المواقع الجغرافية أبنائها لتكون مراكز حربية في مواقع إستراتيجية ولرد أي عدوان وإخماد أيه ثورة وكان لها حراس خارجين بها يسمون بـــ الذمامين [٣]

ويقول مارمول[٤] فقد تعرضت الأسوار للتداعي والسقوط سواء بفعل الحروب أو الصراعات الداخلية التي شهدتها البلاد أواخر الدولة المرينية وطيلة العهد الوطاسي وبسبب الهجوم البرتغالي والأسباني الذي تعرضت له البلاد آنذاك

([١]) الأعرجي ، الدولة المرينية ص ١٢٦

([٢]) ابن خلدون ، التعريف ص٣٤

([٣]) السبتي ، اختصار الأخبار ص٨٩ ، الماحي، المغرب ص٢١٢

([٤])أفريقيا ج٢ص٦٢